محمود موعد

الغلد

(١)

التقيت به ، في الشارع العام . تعانقنا ، لم يستطع العناق ان يذيب مسافات الزمن الجليدية ، التي تراكمت منذ افترقنا . تابطت ذراعه ، كانني اعتذر عن خمود عواطفي ، سرنا صوب احد المقاهي .

حين بدأ يتكلم تقاربت حافتا الزمن ، كانا لم نفترق الا ايـاما معدودة ، صوته ، اشاراته ، سؤاله بعد كل فقرة من حديثه: صحيح ؟ .. هو لم يتغير . اذهلني ، حتى حديثه لم يتغير ، كانه يتمم حديثا كنا بدأناه بالامس .

اخذ يذكرني بأيام التلمذة ، وشقاواتها ، والحماسة التي كانت تغلف كل افعالنا ، والمظاهرات ، والاضرابات ، التي كنا نقودها . كان يتحدث ويتحدث وانـا صامت ، وكلما سالنـي سؤالا هززت برأسي موافقا وانفتحت شفتاي بعد لازمته : صحيح ... صحيح كنت اقولهـا بغير حماسة ، كنت اريد ان اقول له مقاطعا : ان صديقك الذي كنت تعرفه ايام زمان قد مات ، تغير ، اصبح خلدا ، يعيش في انفـاقه المظلمة ، وقد حصن نفسه جيدا ولكني امام حماسته وتدفقه ، خجلت . وفوجئت حين قال بصوت مرتفع : قل لي هل انت راض ؟.

قلت دون تفكير ، بعد ان احكمت وضع القناع الذي يرضيه : ابدا ... كل شيء يثير اشمئزازي ، لا شيء يبعث على الرضا .. انا..

وفجاة ... شعرت بعينين كعيني الحداة ، تنقضان علي مـن خلفي ودون ان التفت ، كنت انتظر يدين ثقيلتين تحطان على كتفي ، دار راسي ، زاغت نظراتي ، جف ريقي ، التفت الى صديقي القديم ، ومددت اليه يدي . ارجوك ... سامحني .. اشعر بصداع شديد . الى اللقاء .!

واخذت اعدو ، ولم اشا ان التفت اليه ، وقد تجمد في مكانه ، حتى لا تقع عيناي على عينيه . وشعرت ان عيني الحداة تتبعانـي ، وعما قريب تحط اليدان الثقيلتان على كتفي ، فاخذت اجري كالمجنون، دون ان اعتذر للناس الذين كنت اصطدم بهم ، ورحت اتلمس الطريق الى نفقي المظلم ، اختفي فيه لالتقط انفاسي .

(٢)

كنا جالسين على مائدة واحدة صغيرة وجها لوجه ، تفصلنـا مسافات نائية . كانت تتكلم عن اشياء سمعتها منها عشرات المرات ، لم اكن اسمعها ، كانت عيناي تلاحقان حركة شفتيها ، واعماقي تتاكل مـن الداخل وتصيح : ما اكلبك ولقد تتكلمين ! وما اصدقك وانـت على السرير ! ... لن اقبل منك باقل من السرير .

« فجاة .. صحت بها مقاطعا بلهجة رقيقة مهذبة : انت تافهة ... مزيفة .. تدعين الشرف والعاهرة اشرف منك .. العاهرة تعطي جسدها على الاقل مقابل النقود التي تاخذهـا .. اما انت فليس لديك مـا تعطينه .. انت لصة حقيقية ..

كنت انظر الى وجهي في المراة بحقد ، ولساني يمضغ الكلمـات ولا يجـرؤ علـى قذفهـا في وجـه الجالسة في مواجهتي . لم استطع. هزمت من جديد ...

وفجاة احسست بالعينين تقتحمان المكان وتفرسان اظافرهما فـي وجهي المتعب .

وقفت ، تركتها ، وهي تتكلم ، وخرجت ، شعرت ان حملا ثقيـلا قد انزاح عن كاهلي ، لكن العينين النفاذتين ما زالتا تتبعاني، فاسرعت الخطا ، واندسست في اقرب زقاق ، وتنفست بعمق وانا اجري نحو نفقي .

(٣)

كنت انتظر على موقف الباص ، فجاة ... القيت بغير سبـب على اسفلت الشارع العاري فالتصقت به ، ومن بعيد اقبلت شاحنـة ضخمة المجلات ، بسرعة مجنونة ، لم استطع ان اتحرك من مكانـي ، صرخت ، لم يخرج صوتي . مرت فوق جسدي ، فسوته بالارض، كنت افكر كيف سيعود الجسد الى وضعيته الاولى حين تبتعد السيارة ، الا اني سمعت راسي ينفجر ، كبطيخة وقع عليها حجر كبير وبقـي صوت الانفجار في اذني ، وبقيت السيارة تمر فوق راسي وينفجر ، ثم تعود وتمر فينفجر ، وتمر فينفجر ..

وكانت عينا الحداة تحومان فوقي ، وانا اتامل العابرين وهـم لا يعيروني ادنى انتباه . ويرشح جبيني بعرق حمى ، والعـق شفتـي الجافتين بلساني ، واتابع طريقي ابحث عن نفقي لاحمي نفسي .

(٤)

في المطعم كان كل شيء على ما يرام ، الناس ، بثيابهم الانيقـة والروائح الغالبة التي تنبعث منها وابتساماتهم المرسومة بعناية على الوجوه ، يدخلون بهدوء ، ياخذون اماكنهم على الموائد الخاليـة ، والخدم يروحون ، ويجيئون ، ويتبادلون مع الزبائن بلطف زائد كلمات مقتضبة . والهواء البارد يتسرب خلال الشقوق الى الصالة المدفاة .

وياتي طعامي ، واتناول اللقمة الاولى . فجاة ... اصبـح غير

قادر على البلع لانني توقعت عظمة حادة مختبئة في مكان ما من اللقمة الثانية ، او الثالثة ، تعصي في حلقي . فاتوقف عن المضغ ، وابصق اللقمة الاولى واطلب الحساب وتحت نظرات الخادم المتسائلة اجر خطواتي ، والعينان العنيدتان تطلان علي من مكان ما ، فاسرع الخطا نحو مخبئي الامين .

(٥)

كنا نجلس في المقهى حول طاولة واحدة . قال الاول : قصة (المازوت) قصة ، من شهر لم تدخل بيتنا قطرة واحدة واليوم كنت...

وقال الثاني : ... وحين وصلني الدور كان الخبز قد نفد .

وقال الثالث : اليوم وقفت عند اللحام ...

وقال الرابع : اليوم انتظرت على موقف الباص ساعة كاملة، وحين جاء الباص دافعت بيدي وجسمي ، ورجلي ولما صعدت كدت اقع الى الخلف فتمسكت بشيء وحين راجعت احساسي وجدت ان الشيء طري بشكل غير اعتيادي ، وقبل ان ادرك اي شيء امسكت ، كان صوت امرأة يجرح سمعي . آخ ... اترك ثديي يا رذيل .

وقال الخامس : حين وصلت البيت طرقت الباب ، فتحت زوجتي، وما ان وقع بصرها علي حتى صرخت ، وكاد يغمى عليها . ولما سالتها عن ذلك قالت لم تكن انسانا قط ، كنت مخلوقا عجيبا حين رجعت .

وقالت عينا الحداة : لن انتظر طويلا .

اما انا فقمت ابحث عن نفقي الدائري ، دون ان اقول لرفاقي : الى اللقاء .

(٦)

قرات صحف اليوم العربية والاجنبية ، وسمعت الاخبار من المذياع ، فعلمت ان الدنيا ما زالت بالف خير ، وان فردوسا ينتظرنا على الابواب ،

فلت : اذن لنحتفل بهذه المناسبة السعيدة ونشرب كاسا .

فشربت كاسا ، ثم كاسا ، ثم كاسا ، ثم كاسين دفعة واحدة ، ثم نسيت عدد الكؤوس ، ثم نسيت دفع الحساب ، وتركت المهمة لصبي المشرب .

(٧)

فجاة ... وجدت نفسي امام المقبرة ، قلت لاقرا الفاتحة على روح والدي ، فمن سنين ما مررت من هنا . هالني اتساع المقبرة ، وكثرة القبور . بحثت عن قبر والدي ، فتشت ، حدقت في كثير من الشاهدات ، حاولت ان اعثر على العلامة التي كانت تميزه فيما مضى فلم اوفق .

هاجمتني العيون ، خشيت ، انكمشت على نفسي ، وقفت امام اول قبر صادفني . بسطت يدي وقرات الفاتحة ، وانطلقت لا الوي على شيء دون ان التفت ورائي .

(٨)

قال لي : سنشكل حزبا سياسيا ... ما رايك ؟.

قلت : ما هي شعاراته ؟

قال : مكافحة الجوع ، وتامين الجنس والخمر بالمجان .

قلت : هل يعيد الينا البراءة ؟

قال : لا ادري .

قلت : هل يعيد الينا الدهشة ؟

قال : لا ادري .

قلت : هل يعيد الينا الحب ؟

قال : لا ادري .

قلت : الحقيقة انا لا اصلح للعمل السياسي ... اعذرني .

واختفيت وراء احد الانفاق .

(٩)

دخلت الى بيت زميل لي في العمل ، لاعزيه بموت ابيه، اخترقت الصفوف اليه ، حيث كان جالسا الى جانب القرىء ، اخترقتني العيون . وقف لمصافحتي ، مددت له يدي وتحرك لساني ليقول الكلمة المناسبة . انتظر ، انتظرت انا . انتظر الجميع ، لاحقتني العيون ... لم تخرج كلمة لم يخرج صوت ، افلت يدي من يده ، انقلبت على عقبي ، واخذت طريق الخروج . كانت العينان تتبعاني ساخرتين، وعيون اخرى كانت ترسم دهشة لم تعرفها من قبل وانا اجري نحو نفقي دون توقف .

(١٠)

كنا في سيارة صغيرة ذات خمسة ركاب ، والمذياع يقيء اغنية (يا حبيبي كيف الصحة ؟) تحدث السائق عن الذوق في فتح باب السيارة واغلاقه ، وتحدث الراكب الاول عن الغلاء وتحدث الراكب الثاني عن فقد مواد البناء من السوق ، وتحدث الثالث عن الجشع ، وتحدث الرابع عن (معاملته) الضائعة في الوزارة .

بقيت صامتا ، فاتجهت الى العيون ، وتسرب الشك ، كما آسن الى النفوس . كان علي ان اقول شيئا ما ، قلت لهم بصوت متفجر غريب عني : كل ما تحدثتم به لا يساوي شيئا امام صوت هذه المراة التي تزعق : انها تشتمكم ، لا كلمات ، لا لحن ، لا اداء ، لا صوت ومع هذا انتم لا تحتجون . بقيت العيون تحدق بي ، ولكن في اتهام هذه المرة ، تقدمت ، والعيون تعريني بلا رحمة وتظن بي الظنون ، قلت للسائق : على جنب من فضلك .

وسرعان ما فتحت الباب ، وحين وضعت قدمي على الارض اليابسة ، ودون ان التفت الى العيون المحدقة في السيارة الصغيرة ، اخذت اجري بعيدا ، نحو البيوت العتيقة .

(١١)

كنت في نفقي احسب حساب الربح والخسارة ، ما انفقته ، وما ادخرته ، فجاة .. شعرت بالعينين الباردتين تخترقان النفق، فتجمداني في مكاني ، وتتساقط قطرات صقيع على اعماقي ، فانسى ما كنت في سبيله .

وفجاة ايضا يتهدم النفق فوقي ، بفعل رجل ثقيلة داست فوقه . اصبحت عاريا وعجزت عن الانتقال الى نفق اخر ، فجريت بعيدا ، وقررت بيني وبين نفسي الا اعود الى حفر الانفاق ، ما دامت الارجل الثقيلة وعينا الحداة ستطالني على كل حال ، وحين وصلت الى هذا القرار التفت ورائي ، وحدقت جيدا ، وعبست .

فلسطين

صدر حديثا

عذابات احمد بن ماجد

للشاعر البحريني

يعقوب المحرقي

***

هنا الوردة .. هنا نرقص

للقصاص البحريني

امين صالح

منشورات دار الآداب ـ بيروت

بالاشتراك مع اسرة الادباء والكتاب في البحرين